

تفسير ابن كثير

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ

(ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) قال ابن جريج : قال ابن عباس : ذلك الكتاب :

هذا الكتاب . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والسدي ومقاتل بن حيان

، وزيد بن أسلم ، وابن جريج : أن ذلك بمعنى هذا ، والعرب تقارض بين هذين الاسمين

من أسماء الإشارة فيستعملون كلا منهما مكان الآخر ، وهذا معروف في كلامهم . و (

الكتاب) القرآن . ومن قال : إن المراد بذلك الكتاب الإشارة إلى التوراة والإنجيل ، كما

حكاه ابن جرير وغيره ، فقد أبعد النجعة وأغرق في النزاع ، وتكلف ما لا علم له به

. والريب : الشك ، قال السدي عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة

الهمداني عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : (

لا ريب فيه) لا شك فيه . وقاله أبو الدرداء وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك

ونافع مولى ابن عمر وعطاء وأبو العالية والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان والسدي وقتادة

وإسماعيل بن أبي خالد . وقال ابن أبي حاتم : لا أعلم في هذا خلافا . [وقد يستعمل

الرب في التهمة قال جميل :بشينة قالت يا جميل أربتي فقلت كلانا يا بشين مريبواستعمل -

أيضا - في الحاجة كما قال بعضهم :قضينا من تهامة كل ريب وخير ثم أجمعنا

السيوفا[ومعنى الكلام : أن هذا الكتاب - وهو القرآن - لا شك فيه أنه نزل من عند الله ،

كما قال تعالى في السجدة : (الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) [السجدة

: 1 ، 2] . [وقال بعضهم : هذا خبر ومعناه النهي ، أي : لا ترتابوا فيه] .ومن القراء من

يقف على قوله : (لا ريب) ويبتدئ بقوله : (فيه هدى للمتقين) والوقف على قوله

تعالى : (لا ريب فيه) أولى للآية التي ذكرنا ، ولأنه يصير قوله : (هدى) صفة للقرآن ،

وذلك أبلغ من كون : (فيه هدى) .و (هدى) يحتمل من حيث العربية أن يكون

مرفوعا على النعت ، ومنصوبا على الحال .وخصت الهداية للمتقين . كما قال : (قل هو

للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من

مكان بعيد) [فصلت : 44] . وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد

الظالمين إلا خسارا) [الإسراء : 82] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على اختصاص

المؤمنين بالنفع بالقرآن ؛ لأنه هو في نفسه هدى ، ولكن لا يناله إلا الأبرار ، كما قال : (

يأيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين)

[يونس : 57] .وقد قال السدي عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن

مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

: (هدى للمتقين) يعني : نورا للمتقين .وقال الشعبي : هدى من الضلالة . وقال سعيد بن

جبير : تبيان للمتقين . وكل ذلك صحيح .وقال السدي : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ،

عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم : (هدى للمتقين) قال : هم المؤمنون .وقال محمد بن إسحاق

، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن

عباس : (للمتقين) أي : الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ،

ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به .وقال أبو روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : (

للمتقين) قال : المؤمنين الذين يتقون الشرك بي ، ويعملون بطاعتي .وقال سفيان الثوري ،

عن رجل ، عن الحسن البصري ، قوله : (للمتقين) قال : اتقوا ما حرم الله عليهم ،

وأدوا ما افترض عليهم .وقال أبو بكر بن عياش : سألتني الأعمش عن المتقين ، قال :

فأجبتة . فقال [لي] سل عنها الكلبي ، فسألته فقال : الذين يجتنبون كبائر الإثم . قال : فرجعت إلى الأعمش ، فقال : نرى أنه كذلك . ولم ينكره . وقال قتادة (للمتقين) هم الذين نعتهم الله بقوله : (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) الآية والتي بعدها [البقرة : 3 ، 4] . واختار ابن جرير : أن الآية تعم ذلك كله ، وهو كما قال . وقد روى الترمذي وابن ماجه ، من رواية أبي عقيل عبد الله بن عقيل ، عن عبد الله بن يزيد ، عن ربيعة بن يزيد ، وعطية بن قيس ، عن عطية السعدي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس . ثم قال الترمذي : حسن غريب . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن عمران ، حدثنا إسحاق بن سليمان ، يعني الرازي ، عن المغيرة بن مسلم ، عن ميمون أبي حمزة ، قال : كنت جالسا عند أبي وائل ، فدخل علينا رجل ، يقال له : أبو عفيف ، من أصحاب معاذ ، فقال له شقيق بن سلمة : يا أبا عفيف ، ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل ؟ قال : بلى سمعته يقول : يحبس الناس يوم القيامة في بقيق واحد ، فينادي مناد : أين المتقون ؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر . قلت : من

المتقون ؟ قال : قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان ، وأخلصوا الله العبادة ، فيمرون إلى

الجنة .وأصل التقوى : التوقي مما يكره لأن أصلها وقوى من الوقاية . قال النابغة :سقط

النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد وقال الآخر :فألقت قناعا دونه الشمس واتقت

بأحسن موصولين كف ومعصمو قد قيل : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، سأل أبي

بن كعب عن التقوى ، فقال له : أما سلكت طريقا ذا شوك ؟ قال : بلى قال : فما عملت ؟

قال : شمريت واجتهدت ، قال : فذلك التقوى .وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال :خل

الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقوا صنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يربلا تحقرن

صغيرة إن الجبال من الحصوأنشد أبو الدرداء يوما :يريد المرء أن يؤتى مناه ويأبى الله إلا

ما أرادايقول المرء فائدتى ومالى وتقوى الله أفضل ما استفادافي سنن ابن ماجه عن أبي

أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استفاد المرء بعد تقوى الله خيرا من

زوجة صالحة ، إن نظر إليها سرتة ، وإن أمرها أطاعته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب

عنها حفظته في نفسها وماله .